القسم السادس

فرنسا فى مراكش

بدأ الفرنسيون تنفيذ برنامجهم الإصلاحى على مراحل فى مراكش ، فقد نقلت إلينا الأنباء البرقية طرفا من أخبارهم ؛ وهى تتلخص فى بعض تغييرات إدارية ادخلوها ذرا للرماد فى العيون فقالوا إن الوزارة ستتألف من عشرة وزراء مراكشيين وعشرة من الفرنسيين ، واختير مستشار فرنسى يبحث القوانين واللوائح قبل عرضها على السلطان ، وصرح فرنسى مسئول بأن فرنسا تريد تحويل مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة ، كما ترغب باخلاص فى زيادة مسئولية المراكشيين فى حكم أنفسهم ، وهـــذه نواح جديرة بالبحث والتأمل .

ولقد كنا أول من أذاع شيئا عن اجتماع الدار البيضاء الذى حضره روزفلت وجيرو وديجول الفرنسيان ، وقلنا : إن أراضى تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة بيد الحلفاء ، وقد أعيدت

للسلطات الفرنسية بعد أن تعهد رجالها لرزفيلت أن تسير هذه البقاع فى ركب الحضارة نحو الحرية ، وتقرير المصير . وشىء من هذا لم يحدث ولكن تحت ستار الإصلاحات الجديدة ، وتحويل مراكش إلى دولة حديثة ، وزيادة مسئولية المراكشيين فى حكم أنفسهم ـ تقدم فرنسا للعالم المتمدين مشروعا استعماريا ، له خطورته لأنه ضربة جديدة موجهة إلى استقلال مراكش ، وحريتها ومستقبلها ولذلك لم نستغرب أن رفض الأحرار المراكشيون هذه السياسة وندّدوا بها ، وقالوا عنها « أنها تريد أن تغتصب البقية الباقية من مظاهر وجودهم » ونحن الذين تابعوا قضية المغرب من يوم أنزل الحلفاء جنودهم ، وأنصتوا طويلا إلى أقوال قواد الحلفاء ، وبعض رجال السياسة ، الذين تحدثوا عن مستقبل هاتيك البلاد ، وعرفوا الكثير من تحمس رجال فرنسا ، وتمسكهم بوحدة امبراطوريتهم ، ورفضهم الدخول فى أى حديث يتصل بحرية واستقلال شعوب المغرب .

لم نتردد فى أن نجهر بالقول لإخواننا أهل المغرب[1] أن الخطر الذى يبدو لنا هو أن توفق فرنسا لا قناع العالم أن سياسة الاتحاد الفرنسى مشروع إنسانى ، يدعو إلى رفع مستوى الشعوب ، ويعد

---

(١) نهاية القسم الثانى .

تنفيذه تحقيقا لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء ، أو أنه مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى .

ومراكش ليست دولة فى مجاهل الدنيا حتى تدرب على حكم نفسها ، وقد عاصرت القرون ، وكانت امجادها وبطولتها مضرب الأمثال ، فهى دولة مستقلة ذات سيادة وصولة وتاريخ وشخصية ، قبل أن تعرف فرنسا شيئامن ذلك . وهى أمة موحدة قبل أن تحقق فرنسا وحدتها الأقليمية فى قارة أوربا ، ولاخواننا المراكشيين جولات فى افريقية ، وفى القارة الأوربية . وبين ملوك مراكش وملوك فرنسا مكاتبات ومعاهدات قديمة ، عامل فيها كل واحد الآخر معاملة الند للند .

لهذا كله دهشنا من موقف فرنسا ورجالها بعد سنة ١٩١٢ وموقفها اليوم فى سياسة المقيم العام ، التى يريد أن يفرضها على دولة قائمة ذات سيادة وشخصية دولية ، وكنا نؤمل أن تغير دروس الماضى بعد الحرب العالمية الأولى ثم بعد الحرب العالمية الثانيه ، شيئاً من أساليبهم وعقليتهم ، ومراكش بلاد لم تفتح وإنما تعاهد سلطانها معهم ، وحالفهم على شروط معلومة فاذا هم ينتزعون البلاد انتزاعا ويصبح المقيم العام سلطانا غير متوج له حكومة تجمع السلطات كلها بين يديه : من تنفيذ وتشريع وقضاء ، ويسيطر رجاله على الشئون

المالية والاقتصادية والإنشائية ، ويضع يده على الحبوس والأوقاف وينتزع أملاك الدولة ، فيوزعها على المستعمرين من الفرنسيين .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ضربت فرنسا بالمواثيق والعهود، التي أخذتها الدول عليها عرض الحائط ، فهي لم تحترم ماجاء باتفاق الجزيرة سنة ١٩٠٧ ولا ماجاء بالاتفاقات التي أعقبت حادث «أغادير» المشهور ، وكلها تنص على احترام سيادة سلطان مراكش ووحدة بلاده ، وبقائها بلادا مفتوحة لتجارة الدول ، وميدانا للنشاط العالمي.

وقد رأينا الأسلوب الفرنسي في حكم البلاد التي نكبت به ينتزع السلطات جميعا من أيدي الحكام الوطنيين ، فتصبح الحكومة المراكشية التي يطلق عليها اسم (المخزن) صورة لا تملك من الأمر شيئا ، واذا بدار المقيم العام بيدها السلطات الفعلية وهو يتولاها بواسطة مستشاريه ، على الطريقة الفرنسية المباشرة ، التي رأيناها في سورية ولبنان أيام الانتداب .

تصور هذه الدار تتولى الأمن العام ، والجمارك ، والضرائب وتدير الأوقاف تفتح المدارس ، وتغلق الكتاتيب ، وبيدها التشريع والبرق والبريد وتسيطر على النقد ، ووسائل المواصلات ، وتمنح الأراضي لمن تشاء ، وتوزع الثروة على شركات الاحتكار والاستثمار

هذه هى مناطق القانون العام ، أى التى يسود فيها الحكم المدنى أما المناطق العسكرية فهى تخضع لجبروت الجيش ، وضباطه السياسيين . فهناك يجمع القائد الفرنسى كل السلطات فى يده ، ولا مرد لحكمه . إذ تكفى إرادته لنزع الأملاك ، وتنفيذ حكم الاعدام والسجن ، واخلاء قرى بأكملها من السكان ، ولا يمكن مراجعة حكمه ، أو الاعتراض عليه ، أمام سلطة مدنية ، وأهالى البلاد من المسلمين حيارى بين براثن الاستعمار الفرنسى فى مراكش أذهم فى حالة حرب منذ عام ١٩١٢ لايرتفع عن كاهلهم صوت الاحكام العرفية ولا يشعرون بالراحة يوما ، تؤخذ أولادهم للحروب ، ويرسل شبابهم الى المعتقلات والسجون

لقد آن للعالم المتمدين أن يفهم حقيقة الحال فى إفريقية الشمالية وحسنا فعل المجاهدون المراكشيون فى المبادرة إلى أمريكا، وتعريف العالم بقضيتهم ، لأنها قضية عادلة ، فهم لن يقبلوا أن يدخلوا اتحادا فرنسيا يفرض عليهم فرضا ، وقد شرحنا أساليبه ومراميه وأهدافه ويؤكد سيطرة فرنسا وتدخلها فى شؤون بلادهم اجيالا من الزمن لاتزال فى عالم الغيب أو المستقبل .

إن كفاح أهل مراكش سيكون طويلا وصعبا لاهوادة فيه ، لأن بلادهم موطن الثروة المعدنية ، واليها تتجه أنظار الاستعمار الفرنسى للحصول على المواد الخام من البترول والفحم والحديد وهذا الاستعمار

يفرط كما قلنا ـ فى ولايات من فرنسا فى أوروبا ولا يتنازل عن شمال افريقية وهو يعلم تماما أن أى تساهل أو اعتراف من جانبه باستقلال ، أو حكم ذاتى يمنح لأهل البلاد المراكشية معناه : انهيار الامبراطورية الفرنسية بأكملها فى إفريقية الشمالية .

فعلى الذين يتصدرون الحركة الإستقلالية فى مراكش أن يفهموا أن العراك سيكون شديدا وقاسيا ، وعليهم أن يكتسبوا المعركة الخارجية ، وهى معركة الدعاية لقضيتهم فى امريكا ، وفى بقية انحاء العالم ، عليهم أن يظهروا مساوىء الاستعمار وأضاليله ، وأن يجعلوا الدعاية قائمة فى كل مكان ، وان تمتاز بالثبات والرسوخ والهدوء والمداومة .

فنى مصر لا يكفى شعور الناس بالعطف على قضيتهم ، بل يجب إبرازها كل يوم فى ثوب جديد على صفحات الجرائد والمجلات ، بل نريد أن نسمع رأيهم وصوتهم ونرى مناظر بلادهم ومساجدها وأسواقها ، ونقرأ لأدبائهم وزعمائهم كل يوم ونود أن نشاركهم أفراحهم وآلامهم ، ونسمع أغانيهم ونرتل شعرهم ، وتظهر على مطبوعاتهم صور معاهدهم ورجالهم ومظاهر الحياة عندهم .

إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أهل المغرب جميعا لأننا فى فى مصر نعد أنفسنا أقرب أهل المشرق إليهم .

لقد تلاقت النفوس قبل اليوم . وارتبطنا بهم بروابط لا تنفصم عراها . إن فى مصر أسراً بأكملها تنحدر من تلك الأصول العربية التى جاءت من أرض المغرب .

إننا لا تطمئن نفوسنا قبل أن ينال المغرب استقلاله ويحصل على حريته .

obeikandl.com